



بسم الله الرحمن الرحيم
واجب الوقت في حياة الدعاة
من فقه الأولويات أن نعرف واجب الوقت
فنقدمه على غيره ونعطيه حقه،



مقدمة:

نحن في معركة وجود أو لا وجود، وإن أخطر ما يهددنا وأعظم ما نخسر في معركتنا ليست الأراضي أو الأموال، بل أكبر خسارة أن نخسر أبناءنا، أن نضيع الأطفال، لهذا كان هناك توعّد شديد من الله ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ضياع الجيل وضلال الأبناء، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم: 6].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) [مسلم 142]

1- بناء الجيل من أوجب الواجبات

إن أشد ما يهّم أعداءنا وأكثر ما يعمل عليه خصومنا هو (إفساد الجيل)، وأستاذهم في ذلك إبليس، عندما قال: {فَبِعِزَّتِكَ لأَعُوذَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [ص: 82].

فأعداء الأمة اليوم يمكرون الليل والنهار، ويعملون في الجهر والإسرار، على إفساد الجيل وإضلاله، حتى يبقى بلا هدف ولا غاية، وليس له قذوة ولا راية، لأنهم يعلمون أن قوتنا الحقيقية هي في أبناء الأمة فإن ضاعوا ضاعت الأمة.

لذلك ستوجه سهام هذا المقال اليوم إلى قلوبنا، وسيوجه الكلام إلينا جميعاً، فنحن المعنيون بصون الجيل عن الشهوات وحماية الجيل من الشبهات ودفع الجيل إلى المكارم والمحاسن، ومن هنا نبعت أهمية هذه الخطبة في هذا الوقت بالتحديد.

إن على الأمة بكل مؤسساتها وعقولها وإمكاناتها السعي لحماية الجيل من مكر أعداءهم، فالجيل أمانة في أعناقنا فلنربيهم تربية الرجال الأبطال كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ...) [البخاري/1358]

لنعلم أيها المسلمون: أن من أوجب الواجبات وأوائل المهمات اليوم هو بناء الجيل بناء سليماً قوياً، وإن أعظم ما نملك أولادنا الذين هم فلذات الأكباد، فلعمر الله إنه لا نصر لنا ولا مجد لنا إلا بتهيئة أبنائنا وإعداد أولادنا على منهاج الكتاب والسنة، فلم تفتح البلاد إلا بذلكم الجيل الصغير الذي رباه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يصطلح المسلمون ويكونوا يداً واحدة إلا بذلكم الجيل الذي رباه رسول الله، فتعالوا واسمعوا وعوا وطبقوا، فنحن اليوم أمام معركة ممتدة وأمام حروب طويلة، وعلينا أن نعدّ لها ونربي أبنائنا على الصمود والثبات فيها، معركة في العلم والعقيدة، ومعركة في الحفاظ على وحدة الأمة، ومعركة في صون النفوس والأعراض المحرمة.

وهذا ما سنضرب عليه الأمثلة والقصاص الواقعية من عصر النبوة مع مربّي الأجيال وصانعي الأبطال محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

2- التربية الإيمانية والعلمية

ربى الجيل على حب العلم النافع والعقيدة الصافية، فما هو صلى الله عليه وسلم يربي ابن عمه عبد الله بن عباس على العقيدة التي لا تهزم ولا تقهر ولا تتزعزع ولا تتبدل فيقول له (احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشَّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ، فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَهْدِرُوا عَلَيْهِ، وَأَعْلَمُ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّرَ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكُرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) [أحمد/246 ، وغيره. وقال أحمد شاكر: حسن صحيح]

وها هو يعلمه حب القرآن والعلم فهما الحصن الحصين للعبد في دينه ودنياه، فيقول داعياً له ومربياً: (اللَّهُمَّ فَهِّفْ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمُهُ التَّوَالِيَةَ) [أحمد/3033 وإسناده على شرط مسلم].

فيا أيها المنظمات والمؤسسات والمدارس والفضائل، يا أمتي: ابنا الجيل على العقيدة والعلم فهما سلاحنا المعطل في معركتنا اليوم فإن ربنا الجيل على العلم والإيمان حررنا الأوطان وانتصرنا على الطغيان.

قال الله تعالى {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [التوبة: 122].

3- التربية الجهادية والإنسانية

لقد كان بناء رسول الله للجيل الأول والرعييل الأول بناء كاملاً فكما أسهم على الإيمان والعلم، غرس في قلوبهم صون الدماء المحرمة وتقديس الرقاب المسلمة.

وكم نحن اليوم بحاجة لهذه الغراس في قلوبنا وقلوب أبنائنا، لقد كثر الهرج وزاد القتل واستحلت المحارم وانتهكت الذمم، واستحل الناس الدماء ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم.

أيها الجيل: اعلم علم اليقين أنك لن تنصر الدين باستباحة دماء الناس، واعلم أيها الجيل أنك لن تتال الجنة باستباحة الرقاب المسلمة، بل إن من استحلت الدماء نال غضب الله العظيم وعذابه الأليم.

لهذا اسمعوا وتعلموا أيها القادة والسادة: كيف ربي النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام جيل الصحابة على تعظيم حرمة الدم، فما هو يربي أسامة بن زيد على درس لا ينسى، يقول أسامة: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناها قال: لا إله إلا الله فكف الأنصاري قطعته برمح حتى قتلتته، فلما قدمنا بلغ النبي عليه الصلاة والسلام فقال: (يا أسامة أقتلتته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟)

قلت: كان متعوذاً، فما زال يكررها الرسول صلى الله عليه وسلم حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.

[البخاري/4269 ومسلم/96]

الله أكبر هذا موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسامة بن زيد مع أنه حبه وابن حبه، هذا موقفه مع من كان يقول فيه: (اللهم إني أحبه فأحبه) [البخاري/3749، ومسلم/2421]

مع كل هذا لم يشفع له حب رسول الله عندما قتل رجلاً قال لا إله إلا الله، فمتى أيها الناس نتعلم هذا الدرس العظيم.

اعلموا أيها القادة: لهذا الموقف وغيره كان جديراً أن يكون قائداً للمسلمين وهو ابن سبعة عشرة سنة، فقد عقد له رسول الله لواء قتال الروم وكان للإمامة خليفاً وأهلاً، فرباه رسول الله على حب الجهاد وحسن القيادة فعاد من معاركه ظافراً منتصراً حتى قيل عن جيش أسامة بن زيد: ما رأى الناس جيشاً أسلم وأغنم من جيش أسامة بن زيد.

تلك التربية التي رباها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه جعلت منهم أناساً لا يصبرون على البقاء في هذه الحياة للحظات، وصنعت منهم رجالاً كعمير بن الحمام الذي لم يصبر على أكل ثلاث تمرات في يده عندما سمع رسول الله يشوقهم للجنة، فرماها من يده وقال: "إنها لحياة طويلة إن عشت حتى آكل هذه التمرات" وقاتل حتى قُتل.

4- التربية على الإصلاح وحب الجماعة

إن من أعظم المكاسب في زمن الأزمات هو صقل الجيل وتهيئته للقضايا الكبرى، وتحميلهم همّ الأمة لا همّ ذواتهم، ونقل الجيل من الفردية إلى الجماعة، والعمل على نزع حب الأنانية والسلطة من نفوسهم، وبناء الجيل على تقديم مصلحة الأمة على مصالحهم.

وهذا ما صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبناء الصحابة فكانوا بحق صناعة محمد التي لم يشهد التاريخ جيلاً يماثلها، ها هو المربي والمعلم الأعظم صلى الله عليه وسلم يربي حفيده وحبه وريحانته الحسن بن علي رضي الله عنه على ترك الدنيا من أجل الدين، وترك الجاه من أجل الله، وترك المصلحة الخاصة لمصلحة الأمة والعامّة، فيقول عليه الصلاة والسلام: (إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ سَيُصْلِحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ بَيْنَ فِئْتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [مسند الطيالسي/ 915]

وما هي إلا سنين حتى أثمرت هذه التربية النبوية العظيمة فإذا بهذا الفتى المبارك يصبح رجلاً قائداً وإماماً عامماً للمسلمين، وفي لحظة حاسمة من تاريخ الأمة يتنازل هذا المربي على منهاج النبوة يتخلى على السلطة والجاه من أجل حقن دماء المسلمين وصوناً لحمى الدين، فسجل له التاريخ هذا الموقف بحروف من نور، فلهه درك أيها الحسن ما أحسن فعلك وأجل عملك.

5- التربية الإيمانية قبل التربية الجهادية

إن إعداد الجيل أهم وأجدر من إعداد القوة والسلاح، ورحم الله شيخ المجاهدين عبد الله عزام عندما قال: أدركت أن التربية ضرورة ماسة قبل حمل السلاح، وإلا فإن الذين يحملون السلاح دون تربية يصبحون كالعصابات المسلحة تورق أجفان الناس وتهدد أمنهم وتروعهم ليل نهار.

وصدق من قال: "حامل السلاح بلا تربية قاطع طريق، ومصيره إلى الهزيمة والحريق"، لهذا فإننا نجد أن القرآن اعتنى عناية عظيمة بالتربية الدينية قبل الدخول في معارك الجهاد والقتال، وسمع أيها الجيل: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا} [النساء: 77].

وياختصار استمعي جيداً يا أمّتي: تربية الجيل وأعداده للمستقبل هو مفتاح النصر وهو مجد الأمة القادم، فلئن تأخر عنا النصر فلنعد الجيل لغد أفضل وقابل أجمل... أيها الجيل: إن خير ما يكون الإيجاف في السنوات العجاف، فلا تتعلل بالسنين فإنها تزول، ولا تعتبر بالأزمات فإنها تزول، وابن لأمتك ونفسك ما يعود عليك نفعه.

أزِيحُوا بِالْعِلْمِ الْعِلْلَ، وَارْزُقُوا بِالْعَمَلِ الْحَلْلَ، بِلَا مَلَلٍ وَلَا عَجَلٍ، فَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعِجِلِ الزَّلَلُ.

والله أكبر والله الحمد